

الدلالة النحوية واللغوية في كتاب مراعاة المقام في التعبير القرآني للدكتور فاضل صالح

السامرائي

الكلمات المفتاحية: الدلالة_المقام_ التعبير

أ.د. ابراهيم رحمن حميد الاركي

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية

profibraheema@yahoo.com

الملخص

مما لا ريب فيه أن الدكتور فاضل صالح السامرائي علم من أعلام النحو العربي المعاصرين له مصنفات عديدة وقفت على آخرها وهو كتاب مراعاة المقام في التعبير القرآني فوجدته كتابا يثير الاهتمام ، ويستحق الدراسة ويلفت الانتباه ذلك أن الدكتور فاضل السامرائي أخذ في كتابه يستنبط الأحكام الدلالية من البنية اللغوية والسياق أو التركيب النحوي ، واقتضت الدراسة أن يقسم البحث تقسيمات فرضتها طبيعة المادة العلمية فجاءت لتشمل التقديم والتأخير ، والذكر ، والحذف ، والعموم والخصوص ، ووضع المضمحل موضع الظاهر ، والضمير بين التذكير والتأنيث الى غير ذلك من المظاهر اللغوية المعروفة .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعدُ

فلا يخفى على كل طالب علم ودارس للعربية ما للدكتور فاضل السامرائي من ميزة علمية في مجال اللغة والنحو فقد وسع علمه الآفاق وجالت مصادره الأمصار ، وذاع صيته بين الأقطار ، ولا يخفى أيضا على الباحثين المحققين من أهل هذا العلم وخاصته أن جهود هذا العلم البارّ فرغ منها في أكثر من دراسة جامعية غير أن كتابا صدر له مؤخرا بطبعته الأولى لم تمسه الأيدي بالدرس والبحث ولم يصل الى المكتبات بعمق جاء بعنوان مراعاة المقام في التعبير القرآني .

فقد نظرت في هذا الكتاب بعد أن استهواني عنوانه فطفقت أقرؤه بعمق وبصيرة فوجدتني أمام علم عميق لا يناله إلا ذو حظ عظيم وقد أوتي من العلم أوسع ومن الأدب أكرم ، فرأيت أن ادرس فيه الدلالة اللغوية والنحوية فقسمت البحث على فقرات ضمت التقديم والتأخير والذكر والحذف والعدول ، والخصوص والعموم إلى غير ذلك من المظاهر الدلالية

المعروفة على المستوى اللغوي والنحوي ، وقد تنوعت مصادر بين كتب التفسير واللغة بحسب حاجة البحث الى ذلك فان كنت قد أصبت فذلك فضل من الله كبير، وان كانت الأخرى فحسبي أني شرعت في البحث فاجتهدت قدر ما أوتيت من علم ودراية في اختصاصي .

ومن الله التوفيق والسداد .

١- التقديم والتأخير

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ يونس: ٧٥ ، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ المؤمنون: ٤٥ - ٤٦ .

ذكر السامرائي ان الله تعالى في آية يونس قدم المرسل إليهم ، وهم فرعون وملؤه على الآيات ، وفي سورة المؤمنون قدم الآيات على المرسل إليهم ، والسبب ان في آية يونس التقديم ((مناسب للسياق الذي وردت فيه فقد قال قبل هذه الآية ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلٍ كَذٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾ يونس: ٧٤))^(١)، ففي قوله ﴿ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ﴾ المرسل إليهم قدم على البيئات ((فناسب المرسل إليهم وهم فرعون وملؤه في الآية الخامسة والسبعين))^(٢) .

أما تقديم الآيات على المرسل إليهم في سورة (المؤمنون) فعلته انه ((ذكر كتاب موسى بعد هذه الآيات فقال ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ المؤمنون: ٤٩ ، والكتاب من الآيات وفيه الآيات فناسب تقديم الآيات في آية المؤمنون))^(٣) . والملاحظ في سورة يونس الآية (٧٤) أنه قدم المرسل إليهم وذلك لكونه مقدما في سياق الآية السابقة كما قال الدكتور السامرائي ، وهذا الامر لم يكن في سياق الآية السابقة فحسب (كما ذكر) إنما كان في سياق الآية (٧٣) فقد كان تأخير الآيات أيضا عن الذين كذبوا ، فالآيات مؤخرة في سياق الآيات الثلاث .

ومعنى الآية: ((ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح إلى قومهم موسى وهارون ابني عمران إلى فرعون مصر وملئه بمعنى - وأشرف قومه وسادتهم بادلتنا على حقيقة ما دعوهم إليه من الازعان لله بالعبودية والاقرار لهما بالرسالة))^(٤) .

والذي يترجح لدى الباحث أن سبب التقديم هنا أي تقديم الأزواج على الابناء يعود إلى أصل الخلق فالله تعالى خلق آدم ثم خلق منه حواء^(٨) ، فعلى الترتيب ان يجعل بعد الأزواج بنين وحفدةً فعلى كلا الرأيين يكون التقديم والتأخير مراعاة للمقام والله أعلم .

وقد تنبه ابن عاشور إلى أمر مهم في هذا المقام إذ قال ((هو استدلال ببديع الصنع في خلق النسل إذ جعل مقارنا للتأنس بين الزوجين ، إذ جعل النسل منهما ولم يجعله مفارقا لأحد الابوين أو كليهما))^(٩) ، وفي نصه دليل على تقديم الأزواج على الذرية فلا بد من تقديم الأزواج عليها .

٢- الذكر والحذف

في قوله تعالى ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ الرعد: ٢٣ ، ومثل ذلك في قوله تعالى ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ ﴾ يس: ٥٦ ، وقوله تعالى ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ الزخرف: ٧٠ .

في هذه الآيات الكريمات يذكر الدكتور السامرائي ان فيها حذفاً مراعاة للمقام، فالمذكور أزواج المؤمنين والمحذوف او المتروك الحور العين التي وعد الله بها عباده الصالحين ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى ان المقام في هذه الآيات يقتضي مراعاة مشاعرهنّ ونفسياتهنّ^(١٠) ، فلذلك حذف الحور العين وذكر الأزواج وإلا فللمؤمنين الصالحين يوم القيامة فضلا عن أزواجهم حور عين إكراماً لهم وتاماً لنعم الله على عباده بما وعدهم إياه يوم الدين .

وبعد اطلاعي على كتب التفسير وجدت ان الواحدي يذكر في تفسيره البسيط ان الأزواج هن من الحور العين قال ((وقوله چپ چ يعني حلائلهم من الحور العين))^(١١) .

وذهب اخرون الى ان المعنى حلائلهم من دون أن يخصصوا أهي من الحور العين أم من نسائهم في الحياة الدنيا^(١٢) .

ويبدو لي ان الدكتور فاضل السامرائي اخذ برأي المفسرين في الاغلب أو الاكثر إذ كل ما امكنني الاطلاع عليه هي ان الأزواج في هذه المواضع هي الحلائل فلربما أرادوا بها أزواجهم من أهل الدنيا أو الآخرة ، وعليه يمكن القول ان الدكتور السامرائي كان مصيباً فيما ذهب إليه وما تأوله ، فالله تعالى يراعي في عباده ما شاء لهم أن يراعي فليس ببعيد ان

المقام يستدعي ذكر ازواجهم ويراد به الحور العين من أهل الدنيا ومما خلق الله خلقا آخر في الآخرة ، ولكنه لم يذكر ذلك مراعاة لمشاعر نساء الدنيا ، وإلا فإن اللفظ يستدعي ان يراد بالازواج الحور العين فيما كان في الدنيا وفيما يكون في الآخرة .

في قوله تعالى ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ آل عمران: ١٤ .

في هذه الآية الكريمة يذكر السامرائي أن الله تعالى ذكر ((حب الشهوات الذي زين للناس ولم يذكر حب النساء للرجال لئلا يחדش حياؤهن غير انه أدخل النساء في ذلك مع انهن لم يذكرن وذلك في ذكر البنين ، فان النساء يحببن ان يكون لهن بنون كما يحب الرجال ، وفي ذكر القناطر المقتطرة من الذهب والفضة فانهن يفقن الرجال في حب الذهب والفضة))^(١٣) ، وهذا مما لا منازع فيه ولا ريب ويذكر انه قد يكون في غير ذلك مما ذكر من الخيل وغيره^(١٤) .

ومراعاة للمقام ان الله تعالى لم يذكر حبهن صراحة انما ذكره ضمنا فحذفه مراعيًا في ذلك حياء النساء ، قال السامرائي ((فدخل في حب الشهوات الرجال والنساء ، وان لم يذكرن مراعاة لحيائهن))^(١٥) .

وفي الآية درس بليغ ينبغي ان يراعى في الدنيا وهو انه ينبغي للنساء ان لا يصرحن بشيء من هذا القبيل صراحة فإذا كان الله تعالى راعى الحياء لهن في كتابه فمن باب أولى ان يراعى الله ولا يصرحن بحبهن ، فذلك إن حصل فهو ضرب من خرق الحياء الذي أمر الله به ضمنا في هذه الآية .

ومعنى الآية ان الله زين للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عد^(١٦) ، ولم يذكر كما قال السامرائي ما تشتهيه النساء من الرجال ، وإنما جعلها عامة أي ((بما جعل من طباعهم من الميل إلى هذه الاشياء محنة كما قال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِيَنْبَلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الكهف: ٧))^(١٧) ، والشهوات جمع شهوة ويعني بها توقان النفس إلى الشيء ميلا إليه ، وربما كانت المرأة اشد ميلا إلى الرجال وتوقانا إلا انه لم يذكر ذلك مراعاة للحياء ، فهو جلّ وعلا يحب الحياء ،

قال تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ النساء: ١٦٢، وقال تعالى في آية الحج
﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةَ﴾ الحج: ٣٥.

فسر الدكتور السامرائي ذكر النون في سورة النساء واعمال الوصف بما بعده وحذفه في سورة الحج وعدم اعمال المصدر وانما اضافته إلى معموله ، ان في هذا مراعاة للمقام ففي حذف النون في سورة الحج اشارة دقيقة إلى قصر الصلاة أو جمعها مما يؤدي إلى قلة عدد ركعاتها أو اوقاتها^(١٨) ، فمعلوم ان الحج فيه اعمال تتطلب ان تقصر فيها الصلاة وتجمع مع غيرها في الاوقات المعلومة وذلك مراعاة للمسافر وتخفيفا عليه .

اما في سورة النساء فان الموقف مختلف فهي في الذين آمنوا من اهل الكتاب^(١٩) .

فسياق الآيتين مختلف الأولى في المسلمين الذين يؤدون شعائر الحج وهي في سياق الحج ومناسكه ، فقد ذكر قبل الآية المسافرين إلى الحج الآية (٢٧) ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ ثم نظر الدكتور السامرائي إلى السياقين نظرة أخرى إذ وصف الله تعالى أهل الكتاب بقوله ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، ووصف المسلمين بقوله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ذلك ان الكلام في مناسك الحج والذبايح والهدي وهذا ليس من الزكاة وانما هو في الانفاق فيما يتعلق بالذبح والمناسك^(٢٠) ، ونقل عن الالوسي في تفسيره انه جاء فيه ((ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير من ذلك إهداء الهدايا التي يغالون فيها))^(٢١) ، ثم ذكر انه ((ناسب كل تعبير موضعه الذي ورد فيه))^(٢٢) .

ومن الملاحظ أنّ الدكتور السامرائي فسر حذف النون في الآية من سورة الحج تفسيراً مراعيّاً فيه المقام الذي وردت الآية فيه وما يتناسب مع السياق فسياق الآية والتي قبلها فيه مناسك الحج والسفر إليه وهذا يتطلب جهداً ووقتاً يستدعي قصر الصلاة وجمعها فناسب حذف النون ، اما سياق الآية الاخرى من سورة النساء فهو مختلف ففي الذين آمنوا من اهل الكتاب .

وإذا نظرنا إلى الآية التي حذف فيها النون من الناحية الصوتية لوجدنا ان الجهد أقل مما لو لم تحذف النون واعني بالجهد هنا هو الجهد الصوتي فهو أقل مما لو لم تحذف النون ، ومما علم في النحو أن النون إنما سقطت للإضافة^(٢٣) ، وأجازه بعضهم ((على بعد ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةَ﴾ على حذف النون ونصب الصلاة لطول الاسم وانشد سيبويه:

الحافظو عورة العشيرة لا يأتيهم من ورائنا نطف .

وزعم انه شاذ))^(٢٤) ، وقيل ان حذف النون في النصب استتقالا للإضافة^(٢٥) .

ونخلص من ذلك ان العلاقة بين حذف النون وعدم حذفها في آيتين مختلفتين من حيث السورة والسياق له علاقة بمراعاة الجهد الصوتي المبذول في النطق ، وأيضا فالعلاقة فيهما علاقة مقام يحكمها السياق فالحذف والذكر ممكن لغويا إلا ان المقامين مختلفين فناسب كل منهما موقعه بحسب ذلك المقام .

٣- العموم والخصوص

قال تعالى: ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ الأحزاب: ٤٦ .

يقول الدكتور السامرائي ان الله تعالى قال عن نبيه بأنه السراج ولم يقل (شمسا) ذلك ان السراج أعم من الشمس فقد سمي الشمس سراجا فقد قال سبحانه ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ نوح: ١٦ ، فضلا عن ذلك ان السراج لا يغرب وان الشمس آيلة للمغيب ، وان السراج يقتبس منه والشمس لا يقتبس منها ، وان السراج يكون في كل مكان والشمس لا تكون منها شمس كثيرة^(٢٦) .

وقد ردّ على الامام الرازي حين قال الاخير إن الشمس اشد اضاءة من السراج قال ((وليس صحيحا ما قاله فان السراج أعم وإنما الشمس سراج كما ذكر سبحانه ، فكان جعله صلى الله عليه وسلم سراجا أولى من جعله شمسا لأكثر من سبب كما ذكر))^(٢٧) .

وجاء في التفسير ان معنى ((﴿ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ أي مضيئا للخلق يبين لهم أمر دينهم ويهتدون به كما يهتدى بالسراج المضيء))^(٢٨) ، فقله (سراجا) له دلالة بالغة فالسراج يهتدى به في الليل مما لا يهتدى بالشمس وهذا يؤيد كلام السامرائي فيما ذهب إليه من ان السراج اعم من الشمس فدلالته عامة وليس خاصة، وقول السامرائي مبني على ان معنى السراج هنا هو صفة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وليس القرآن كما ذهب إلى ذلك عدد من المفسرين^(٢٩) ، وهو الراجح والله أعلم لدلالة السياق على ذلك .

٤- وضع المضمرة موضع الظاهر

قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ إبراهيم: ١ .

يقول الدكتور فاضل السامرائي ((قال تعالى في الآية ج ق ف ولم يقل (بإذن الله) وذلك ان لفظ الرب مشعر باللطف والهداية والانعام ، فإن الرب معناه المالك والسيد والمربي والقيم والمنعم))^(٣٠) .

وقد ناسب هنا وضع الضمير موضع الظاهر لأن ((المقام مقام هداية بإخراج الناس من الظلمات إلى النور فناسب ذكر الرب و اضافته إلى ضميرهم (ربهم) فانه رب الناس وهو يهديهم باخراجهم من من الظلمات إلى النور))^(٣١) .

وبإذن ربهم معناه ((بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق))^(٣٢) .

ومن التفاتات الدكتور السامرائي ان في اضافة الرب إلى الضمير العائد إلى الناس اشعارا بالتربية واللطف والفضل^(٣٣) .

وقيل بتوفيقه اياهم ولطفه بهم^(٣٤) ، فلولا إضافة الرب إلى ضمير الناس لما حصل هذا المعنى ولما جاءت هذه المعاني المتواليّة - التربية ، اللطف ، الفضل ، التوفيق ، كل ذلك حاصل من خلال إضافة الرب إلى المعنى ووضع أي المضمّر موضع المظهر ، والفعل في الآية أضيف إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ((لأنه الداعي المنذر والهادي))^(٣٥) .

٥- الضمير بين التذكير والتأنيث

قال تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴾ يس: ٨٠ ، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْمَانُ الصَّالُونَ الْمَكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكُونَنَّ مِنْ شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَأَكُونَنَّ مِنَ الْبَطُورِ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمِيمِ ﴿٥٤﴾ الواقعة: ٥١ - ٥٤ .

يقول الدكتور السامرائي في الآية الاولى والثانية أعاد الضمير على الشجر بلفظ المذكر ، وفي آية الواقعة أعاده بلفظ المؤنث ونقل عن أبي حيان ان الضمير في (منها) في سورة الواقعة يعود على (شجر) ((إذ هو اسم جنس يؤنث ويذكر))^(٣٦) ، وارجأ علة ذلك إلى ان التأنيث يفيد الكثرة ((ولا شك ان شجر جهنم أكثر بكثير من اشجار الدنيا المذكورة في آيتي النحل وياسين))^(٣٧) .

إذا لما كان شجر جهنم كثيرا ناسب استعمال لفظ التأنيث ذلك المقام لأنه يدل على الكثرة ، والشجر يذكر ويؤنث فهو اسم جنس كما ذكرنا فهو جمع شجرة فقال منه ولم يقل منها ((لأنه خرج مخرج الثمر والحصى ، ولو قيل منها كان صوابا لأن العرب تذكر مثل هذا وتؤنثه))^(٣٨) .

ونخلص إلى القول ان السامرائي أرجأ اختلاف الضمائر من حيث النوع إلى مناسبة المقام فكل ضمير ذُكر أو أنث روعي فيه المقام .

٦ - بين فاعل وفاعل

قال تعالى: ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا

مَرِيدًا ﴾ النساء: ١١٧ ، وقال في سورة الصافات: ﴿ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾ الصافات: ٧ .

نقل السامرائي عن الالوسي ان ((المريد والمارد والمتمرد الخارج عن الطاعة))^(٣٩) ، وذكر ان (مارد) صيغة اسم فاعل مأخوذ من مَرَد ووان صيغة (مريد) على وزن فاعل صيغة مبالغة أو صفة مشببه ((وهو أشد وأعتى من المارد ، وإن كان أهل اللغة يجعلونها واحدا))^(٤٠) ، واستدل السامرائي على ذلك ((ما وصف به الشيطان في كل ما ورد في سياق آية النساء وكذلك ما ورد في سورة الحج))^(٤١) ، ففي الآيات ذكرُ لصفات الشيطان المتمثلة بالعتو والمحاربة لبني آدام وهذا لم يذكره تعالى في (المارد)^(٤٢) .

أما في سورة الصافات فالامر مختلف فلم يذكر ما ذكر في سورة النساء والحج ((وإنما ذكر تعالى حفظه السماء من كل شيطان مارد ، وانهم يقذفون من كل جانب دحورا فنذكر انهم لا يسمعون إلى الملاء الاعلى فهم أضعف من ذلك ، وانهم يقذفون من كل جانب))^(٤٣) .

وصفة الشيطان المريد في سورة النساء والحج حقق شيئا مما يريد ، فالذي يتابع سياق الآيات في النساء والحج ان ذلك ظاهر فمن الناس من يدعون الشيطان المريد كما في سورة النساء ، ومنهم من يتبع كل شيطان مريد كما في سورة الحج^(٤٤) .

وناحية اخرى ذكرها السامرائي في استعمال كل صيغة في مقامها أو في موضعها المناسب مراعاة للمقام هو ان الله تعالى ((إذا حفظ السماء من الشيطان المارد فان حفظها من الشيطان المريد أولى فذكر الشيطان المارد ليدل على ان حفظها ممن هو أعتى

أولى))^(٤٥) ، وقاس ذلك بحفظ الجسم من المكروبات الضعيفة بأنه مطلوب وحفظه من الأقوى أشد وأولى^(٤٦) .

والمارد هو الشيطان المتمرد الخبيث الذي يرمى بالكواكب فلا تخطئه قال الواحدي: ((من كل شيطان مارد متمرد يرمون بها فلا تخطئهم^(٤٧) ، وقيل عن المارد هو العاتي من الجن والانس والعرب تسميه شيطانا^(٤٨) .

أما المرید الوارد ذكره في سورة النساء والحجفمعناه المتمرد ((على الله في ضلاله فيما امره به وفيما نهاه عنه))^(٤٩) ، وقيل انه المتمرد على معاصي الله^(٥٠) .
وذكر النحاس ان المرید ((الممتد في الشر من ققولهم بيت ممرد أي مطول))^(٥١) ، وهناك عدة معان ذكرها المفسرون للفظه (مرید)منها يتمرد على الله بالعصيان مرة بعد مرة ، ومنها التطاول بالكبر والمعاصي^(٥٢) .

وكل هذه المعاني تدل على أن المرید هو الشيطان الأشد والأقوى شراً من المارد وهذه الاقوال تؤيد ما ذكره السامرائي فيما سبق ذكره من ان الله تعالى راعى المقام في اختيار المرید لمن هو اشد واعتي ، وانه قد حقق شيئاً مما يريد بعكس المارد في سورة الصافات فهو لم يحقق شيئاً مما يريد، وهذا بحسب ما يدل عليه سياق الآيات الكريمات .

٧ - الجمع والافراد

في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ النساء: ١٣ ، وفي التوبة/ آية: ٨٢ ، والتغابن/ آية: ٢٩ .

ذكر الدكتور فاضل السامرائي أنه أينما ورد الخلود للمؤمنين في القرآن الكريم جاء بلفظ الجمع كما في الآيات التي أشرت إليها وأشار إليها هو كذلك .

أما إذا كان الخلود لأهل النار فذكر أنه يأتي بلفظ الافراد تارة ولفظ الجمع أخرى كما

في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ

عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ النساء: ١٤ ، هذا بصيغة الافراد^(٥٣) .

أما بصيغة الجمع فقد قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴾ البقرة: ٣٩ ، وعلة ذلك كله هو انه قد يكون العذاب بالوحدة ، أو قد يكون بالجمع

المستلزم للاعانة او لغير ذلك من دواعي العذاب بحسب ما يقتضيه المقام ، فضلا عن ان

العذاب بالوحدة أي ان بعذاب العبد لوحده اشد وقعا وتأثيرا على النفس من عذابه مع الجمع ، قال فاضل السامرائي: ((ذلك أن الوحدة عذاب ولو كانت في جنات النعيم ، وان الاجتماع مستلزم للسعادة))^(٥٤) .

ويذهب المفسرون إلى ان قوله ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ ﴾ فيها حمل على اللفظ ، أما قوله خَالِدِينَ ﴿ فَتَحْمَلُ عَلَى الْمَعْنَى ، إذ ان الله تعالى لو كان مراعيًا للفظ لقال ((خالدا فيها)) ولم يقل خالدين لذا كانت اللفظة بالجمع مراعاة للمعنى وليس للفظ ((وإذا جرى ما بعدها على المعنى لم يجوز أن يخالف به بعد على اللفظ لأن الإلباس يدخل في الكلام))^(٥٥) .

وتأويل المفسرين على هذا يراد به ان الله خاطب بالمفرد والمراد به الجمع أي ان كل من يطع الله يدخله جنات خالدين ، وعلى هذا المعنى جاء قول الزجاج ((يدخلهم مقدرين الخلود فيها ، والحال يستقبل بها ، تقول: مررت به معه باز صائداً به غدا ، أي مقدرًا الصيد به غدا))^(٥٦) ، أي يجعل (من) بمنزلة الذين كقول الفرزدق:

تعال فان عاهدتني لا تخونني تكن مثل من يا ذئب يصطحبان .

((وانما جاز ذلك في (مَنْ) لأنه مبهم جامد لا يتصرف ولا يتبين فيه الاعراب ولا العدد وكذلك (ما) إلا ان (مَنْ) لبني آدم والموصوفين بالفعل ، و(ما) لغيرهم))^(٥٧) .

والفرق بين ما قاله السامرائي والمفسرون واضح وهذا لا يعني ان السامرائي لا يعلم هذه الاحكام ، إنما اراد ان يوظف مجيء (خالدين) بالجمع بخاصة للمؤمنين وبالمفرد والجمع بعامة لغيرهم ، فكما إن المؤمن في الآخرة يستلزم أن يكون سعيدا والسعادة تكون بالاجتماع لا بالانفراد ، ناسب المقام الجمع حينما كان المؤمنون في الجنة للعلة التي ذكرناها ، والافراد والجمع حينما كان من كان في النار .

فهو يعلم ان الخطاب للمؤمنين جاء بصيغة المفرد لفظا وعطف عليه بالجمع على المعنى ، وإنما أراد ان يبين ان الله سبحانه وتعالى كيف راعى المقام في اختيار الألفاظ .

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ ﴾ يونس: ٣١ ، وقال

تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ سبأ: ٢٤ .

بين الدكتور السامرائي ان الله تعالى أفرد السماء في آية يونس وجمعها في آية سبأ ، وأجاب في الأولى بقوله ﴿ فَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ وفي الثانية بقوله ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ ، وأرجأ ذلك كله إلى مراعاة المقام إذ أفرد في الأولى كونهم لا يعلمون الذي يرزقهم من السماء والارض وانه هو الله(٥٨) ، وأما في الثانية فعلى ذلك بكونهم ((لا يعلمون ان الرزق من السماوات وانه يقدره ربنا وينزله من سماء إلى سماء حتى يصل إليهم ولذا امره هو ان يقول ان ذلك هو الله فقال ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ فاختلف الامر ان)) (٥٩) .

وسبب آخر ذكره الدكتور السامرائي نقلا عن ابن القيم في إفراد السماء دون جمعها في سورة يونس هو انهم ((لم يكونوا مقرين ولا عالمين بنزول الرزق من سماء إلى سماء حتى تنتهي إليهم ولم يصل علمهم إلى هذا فافرد لفظ السماء هنا)) (٦٠) .
 وذهب المفسرون إلى انه ((لما خوطبوا بما لا يقدر عليه إلا الله جلَّ وعزَّ كان فيه دليل على توحيده)) بمعنى ان الفعل منسوب إلى الله عزَّ وجلَّ ، ((وذلك انهم علموا ان الرزاق والمدبر هو الله)) (٦١) .

ومن هنا يتضح لنا جانب آخر في الآيتين فلماذا اجاب في الأولى حين أفرد ﴿ فَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ ، وفي الثانية حين جمع قال ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ .

أما آية سبأ فيذكر الزمخشري انه ((أمره بان يقررهم بقوله ﴿ مَنْ يَرْزُقُكُمْ ﴾ ثم أمره بان يتولى الإجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك بالإشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم إلا انهم أبوا ان يتكلموا به لأن الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد أجم أفواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحَّته ، ولأنهم إن تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم أن يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتوثرون عليه من لا يقدر على الرزق فكأنهم كانوا يقرون بألسنتهم مرة ، ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وفرارا وحذارا من إلزام الحجة)) (٦٢) .

وأما في آية يونس فذكرنا علة ذلك سابقا وذلك بانهم علموا ان الرزاق والمدبر هو الله تعالى ((فإذا أقرّوا بعد الاحتجاج عليهم ﴿فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾ أفلا تخافون الله فلا تشركوا به شيئاً))^(٦٣) .

ونخلص مما سبق إلى القول إن في أفراد السماء في سورة يونس وجمعها في سورة سبأ فرقا دلاليا يحكمه السياق والمقام ، ولذلك لزم في آية يونس القول ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ وفي سورة سبأ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ .

Abstract

The Grammatical and The Linguistic Semantics in Al-Maqaam Observance Book in Quranic Expression for Dr. Fadhel Salih Al-Samarrai

Keyword : Semantics – Observance - Expression

Prof. Ibraheem Rahman Hameed Al-Arraki

Diyala University/ College of Education for Human Sciences .

Specialization: Linguistics & Grammar

I have looked at the Al-maqaam Observance Book which belongs to Dr. Al-Samarrai and what impressed me is its title, so I have decided to read it deeply and carefully. I have found out that I am in front of the deepest science which no one could get except those who are lucky. This book contains great information , so I see that I should study the grammatical and the linguistic semantic which are mentioned in this book, so I have divided this research into items includes: foregrounding and backgrounding, masculine , elision , recantation to pronouns and specialty and commonness and every familiar semantic manifestations, I have used various references, such as interpretation books and linguistic books according to what the research needs , so if I get what I want, that is from Allah, and if not that is my effort as can as possible , and that's what the knowledge I have in my specialty.

الهوامش

- (١) مراعاة المقام/ ٢١ .
- (٢) المصدر نفسه .
- (٣) المصدر نفسه .
- (٤) جامع البيان ١٥/١٥٥ ، وينظر: تفسير الثعلبي ٥/١٤٢ ، وزاد المسير ٢/٣٤٢ .
- (٥) جامع البيان ١٩/٣٠ .
- (٦) ينظر: مراعاة المقام/ ٤١ .
- (٧) ينظر: المصدر نفسه .
- (٨) الهداية ٦/٤٠٤٢ .
- (٩) التحرير والتنوير ١٤/٢١٧ .

- (١٠) ينظر: مراعاة المقام/٩ .
- (١١)- البسيط ٥٠٥/١٨ ، وينظر: التفسير الوسيط ٥٠٦/٣ .
- (١٢) ينظر: المحرر الوجيز ٥٧/٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٣-٤٤/١ ، وروح المعاني ٣٥/٢٣ ، وتفسير البغوي ١٧/٤ .
- (١٣) مراعاة المقام/١٣ .
- (١٤) ينظر: المصدر نفسه .
- (١٥) المصدر نفسه/١٣ .
- (١٦) ينظر: جامع البيان ٢٤٣/٥ .
- (١٧) التفسير الوسيط ٤١٨/١ ، وينظر: التفسير الوجيز ٢٠١/١ ، والكشاف ٣٧١/١ ، وتفسير البغوي ٤١٧/١ ، والدر المصون ٥٨/٣ .
- (١٨) ينظر: مراعاة المقام/١٧ .
- (١٩) ينظر: المصدر نفسه .
- (٢٠) ينظر: المصدر نفسه .
- (٢١) روح المعاني ١٥٥/١٧ ، وينظر: مراعاة المقام/١٧ .
- (٢٢) مراعاة المقام/١٧ .
- (٢٣) ينظر: معاني القرآن وعرابه ٤٢٧/٣ .
- (٢٤) المصدر نفسه ، وينظر: الكتاب ١٨٥/١ ، ومعاني القراءات للأخفش ١١/١ ، ، والتفسير البسيط ٤٠٢/١٥ .
- (٢٥) ينظر معاني القرآن للأخفش ٩١/١ ، والدر المصون ٢٧٤/٨ .
- (٢٦) ينظر: مراعاة المقام/٥١ ، ومفاتيح الغيب ١٧٤/٩ .
- (٢٧) مراعاة المقام/٥١ .
- (٢٨) الهداية ٨٤٩/٩ ، وينظر: التفسير البسيط ٢٦٦/٨ .
- (٢٩) ينظر: معاني القرآن وعرابه ٢٤١/٤ ، والتفسير البسيط ٢٦٦/١٨ .
- (٣٠) مراعاة المقام/٢٧ ، وينظر: لسان العرب ١٨/١ .
- (٣١) مراعاة المقام/٢٧ .
- (٣٢) الكشاف ٥٠٥/٢ .
- (٣٣) ينظر: مراعاة المقام/٢٧ .
- (٣٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٣٨/٩ .
- (٣٥) المصدر نفسه .
- (٣٦) مراعاة المقام/٢٩ .

- (٣٧) المصدر نفسه .
- (٣٨) جامع البيان ٥٥٦/٢٠ ، وينظر: التفسير البسيط ٥٢٧/١٥ .
- (٣٩) روح المعاني ١٤٩/٥ ، وينظر: مراعاة المقام/١٥ .
- (٤٠) مراعاة المقام/١٥ .
- (٤١) المصدر نفسه .
- (٤٢) ينظر: المصدر نفسه .
- (٤٣) المصدر نفسه .
- (٤٤) ينظر: المصدر نفسه/١٦ .
- (٤٥) المصدر نفسه .
- (٤٦) ينظر: المصدر نفسه .
- (٤٧) التفسير البسيط ١٥/١٩ ، وينظر: التفسير الوسيط ٢٢/١٧ ، والتفسير الوجيز ٩٠٦/١ .
- (٤٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٦٥/١٥ .
- (٤٩) جامع البيان ٢١٢/٩ .
- (٥٠) ينظر: المصدر نفسه ٢١٢/٩ .
- (٥١) معاني القرآن ١٩٣/٢ .
- (٥٢) ينظر: التفسير البسيط ٩٨/٧ ، وزاد المسير ٤٧٣/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٨٧/٥ .
- (٥٣) ينظر: مراعاة المقام/٨ .
- (٥٤) المصدر نفسه .
- (٥٥) المحرر الوجيز ١٣٨/١ ، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٣٥/١ .
- (٥٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٧/٢ .
- (٥٧) التفسير الوسيط ٦٢٢-٦٢٣/٢ .
- (٥٨) ينظر: مراعاة المقام/١٩ .
- (٥٩) المصدر نفسه/٢٠ .
- (٦٠) المصدر نفسه .
- (٦١) الهداية ٣٢٦٢/٥ ، وينظر: التفسير البسيط ١٨٧/١١ ، والتفسير الوسيط ٥٤٧/٢ .
- (٦٢) الكشف ٥٩٠/٣ .
- (٦٣) التفسير الوجيز ٤٩٦/١ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

- التفسير البسيط ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) ، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود ، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه عمادة البحث العلمي ،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ .
- تفسير التحرير والتنوير ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤ م .
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ، النيسابوري ، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، ط ١ ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق ، بيروت ١٤١٥ هـ .
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ، ط ١ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة ، القاهرة .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، ط ٢ ، مطبعة البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٩٥٤ م .
- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، ط ٣ ، مصور عن طبعة دار الكتب المصرية، دار الكتاب العربي ١٩٦٧ م .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي ، تحقيق د. محمد الخراط ، ط ١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٦ م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، ط ٢ ، إدارة المطبعة المنيرية ، (د.ت) .
- زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، ط ١ ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٤٢٢ هـ .
- الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه) (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، دار المعرفة، لبنان ، (د.ت) .

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م .
- لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤١هـ) ، تعليق أحمد صادق الملاح، مطابع الأهرام التجاري ، القاهرة ، ١٩٧٤م .
- مراعاة المقام في التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي ، ط ١ ، دار ابن كثير ، ٢٠١٥م .
- مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، ط ٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - ١٤٢٠هـ .
- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٢٠هـ .
- معاني القرآن ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (الاحفش الأوسط) (ت ٢١٥هـ)، تحقيق فائز فارس ، ط ٢ ، الكويت ، ١٩٨١م .
- معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ) ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه ، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ) ، تحقيق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الشارقة ، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ، ط ١ ، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الشارقة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .